1

الفصل الأول

الحضارة الإيجية

الخلفية الجغرافية لبلاد اليونان

أثر الخلفية الجغرافية في نشوء وتطور الحضارة في بلاد اليونان

الحضارة الإيجية.

عصور الحضارة الإيجية.

نظام الحكم في الحضارة الإيجية "الحياة السياسية

علاقاتها الخارجية.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الحضارة الإيجية.

أسطورة بحر إيجة

الحضارة الموكينية

هوميروس

الإلياذة

هجرة الإغريق وحركة الاستيطان اليوناني

الغزوات الدورية

معالم حضارة بحر إيجة

بلاد اليونان في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد

بلاد اليونان في أواخر الألفية الثانية

الهوامش

الخلفية الجغرافية لبلاد اليونان:

الإنسان ابن بيئته ومحيطه (مجتمعه) وعلى هذا الأساس فقد اشترك في تكوين عقليته عدة عوامل منها الوراثة، البيئة الأسرية (البيت)، الدينية، الاجتماعية، السياسية وأخيرا البيئة الطبيعية. لم تلعب العوامل الجغرافية الدور الرئيس في بناء الحضارة اليونانية ،بل أن هذا الدور كان فاتحة لتاريخهم فقط بحيث نرى أن الإنسان اليوناني القديم في تلك العصور أراد أن يتخلص من حتمية الطبيعة في بلاده نظرا لأن بلاد اليونان أو شبه الجزيرة كانت تتميز بمميزات ثلاة أنها بلاد ذات طبيعة جبلية قليلة الزراعة وقليلة الخصب فضلا عن كونها إقليم جاف ومحاطة ببحار صالحة للملاحة وهذا الشرط هو الشرط الرئيس الذي ساهم في بناء حضارة اليونان.

تقع بلاد اليونان في القسم الشرقي من السواحل الجنوبية لقارة أوربا وتحديداً في القسم الجنوبي من شبه جزيرة البلقان تحيطها البحار من ثلاث جهات (بحر إيجة من الشرق والبحر المتوسط من الجنوب والبحر الأدرياتيكي من الغرب)[1] ، أطلق اليونانيون على أنفسهم اسم الهلليين تيمناً باسم أحد أجدادهم الأسطوريين وأطلقوا على بلادهم أسم هيلاس وأطلق عليهم الرومان اسم إغريق نسبة إلى إحدى القبائل الهللينية التي هاجرت من شمال شبه الجزيرة اليونانية إلى جنوب إيطاليا واستقرت في أحد أجزاء مناطق وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبحر إيجة وخاصة في إقليم أيونية الذي يمثل الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى والذي يعتقد بعض الباحثين العرب من اللغويين بأن العرب قد اشتقوا من تسميته كلمة يونان ويونانيين، وتأسيساً على ما سبق فإن كلمة يونان تدل على قسم كبير من البلاد التي أعطت الحضارة الإغريقية فإن لفظة إغريق أعم وأشمل من اللفظة السابقة عندما نود الإشارة إلى مجموعة الإغريق في كل مراكزهم الحضارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التسمية لا يقصد بها بلاد اليونان الحالية بل يقصد بها شبه جزيرة اليونان وجزر بحر إيجة وشواطئه ومستعمراته الممتدة من البحر الأسود في الشرق إلى صقلية وجنوب إيطاليا في الغرب فضلا عن بقاع وجزر موزعة على طول سواحل البحر المتوسط مع ذلك فإن شبه جزيرة اليونان تعد قلب بلاد هيلاس.[2]

وتقسم بلاد اليونان إلى قسمين شمالي وجنوبي ففي القسم الشمالي تمتد مقاطعة أبيروس على الساحل الغربي ومقاطعة تساليا في الوسط وأتيكا على الساحل الشرقي. أما القسم الجنوبي الذي يطلق عليه اسم البيلوبونيز فيتألف من مقاطعة أركادية في الوسط ومقاطعة آخائية إلى الشمال منها ثم مقاطعتي أليس ومسينا على الساحل الغربي ومقاطعة أرغوليس على الساحل الشرقي. فضلا عن الجزر الكثيرة المحيطة بشبه جزيرة اليونان ومقاطعة الساحل الغربي من آسيا الصغرى (فريجية، ليكيا ليديا، قاريا) التي كانت أيضاً

مناطق يونانية. كذلك أسس اليونانيون فيما بعد مستعمرات لهم في جنوب إيطاليا وصقلية وشمال إفريقيا وإسبانيا على شواطئ البحر الأسود.[3]

وبلاد اليونان في معظمها بلاد جبلية وعرة تتخللها أودية ضيقة وسهول صغيرة مقفلة وليس لمائها اتصال بالبحر فغلبت على سطحه قلة الأراضي الصالحة للزراعة وقلة المراعي والغابات والمياه اللازمة للري فحالت دون قيام اتصالات سهلة بين أجزاء البلاد وشكلت هذه الجبال عوائق طبيعية، وتربتها من النوع الفقير وقليلة السمك مما أثر في إنتاجها للحبوب فالمحصول لا يسد ربع أو ثلث حاجات السكان وأكثر من هذا فقد كان أغلبه من الشعير. كما أنها لا تصلح لإنتاج كل أنواع المحاصيل. وقلة المراعي والغابات والمياه اللازمة للري وعلى نحو عام فإن الجفاف هو السمة الأساسية. وتنحصر الزراعة في المناطق السهلية الصغيرة على أن هذه السهول على صغرها ليست على جانب كبير من الخصوبة. فثلث مساحة اتيكا البالغ قدرها 630,000 فدان غير صالح للزراعة، والثلثان الباقيان قد أفقر تربتهما تقطيع الغابات ، وإنحباس الأمطار وسرعة اكتساح فيضانات الشتاء للطبقة الخصبة السطحية. ولم يكن الفلاحون في أتيكا يدخرون جهداً- يبذلونه هم أو أرقاؤهم- للتغلب على هذه الصعوبات، فكانوا يدخرون ما زاد من الماء على حاجتهم في خزانات ويقيمون الجسور حول المجاري المائية للسيطرة على فيضانها، ويجففون المستنقعات ويستصلحون أرضها، ويحفرون الآلاف من قنوات الري لتحمل إلى حقولهم الظمأى قطرات الماء من النهيرات، ولا يملّون من نقل النبات من بيئة إلى بيئة ليحسنوا نوعه ويزيدوا حجمه ، ويتركون الأرض بوراً مرة كل سنتين لتستعيد قدرتها على الإنتاج، ويجعلون التربة قلوية بإضافة بعض الأملاح إليها مثل كربونات الجير، ويسمدونها بواسطة نترات البوتاسيوم، والرماد، وفضلات الحيوانات والبشر. وكانت الحدائق والبساتين المحيطة بأثينا تستفيد أكبر الفائدة من مجاري المدينة التي كانت تصب كلها في مجرى كبير متصل بخزان عام خارج دبيلون، ثم ينتقل ماؤها من هذا الخزان في قناة مبنية بالآجر إلى وادي نهر سفسوس وكانوا يخلطون أنواعاً مختلفة من التربة بعضها ببعض ليفيد كل نوع منها الآخر، وكانوا يحرثون الأرض وبعض الخضر البقولية مزهرة فيها لكي تتغذى منها التربة ؛ وكانت الأعمال المتصلة بحرث الأرض وتمهيدها ، وبذر البذور أو غرس النبات، تجري كلها في فترة الخريف القصيرة، وكان موسم جني الحبوب يحل في شهر مايو (أيار)، وأما فصل الصيف الجاف فكان موسم الاستعداد والراحة. ومع هذه العناية كلها فإن أرض أتيكا لم تكن تنتج إلا 657,000 بشل من الحبوب في كل عام لا تكاد تكفي ربع سكانها؛ ولولا الطعام المستورد من الخارج لهلكت أثينا بركليس جوعاً؛ وكان هذا هو الذي دفعها إلى الاستعمار وأوجب عليها أن تنشئ لها أسطولاً قوياً تسيطر به على البحار جدير بالذكر هنا

الى أن النقل البحري أقل كلفة من النقل البري وبخاصة إذا اقتصر على أشهر الصيف الساكنة الريح ، وكان هذا النقل في العادة مقصوراً على تلك الشهور. وكانت أجور السفر قليلة، فكان في وسع الأسرة أن تنتقل من إبيرية إلى مصر وإلى البحر الأسود نظير درخمتين، ولكن السفن لم تكن تُعنى بنقل المسافرين لأنها صُنعت قبل كل شيء لنقل البضائع أو لشن الحرب أو لهذا الغرض أو ذاك كما تقضي الضرورة. وكانت أهم القوى المحركة هي قوة الريح تملأ الشراع، ولكن العبيد كانوا يُسيّرون السفن بالمجاديف إذا سكنت الريح أو هبت في عكس اتجاه السفن. وكانت أصغر سفن البحار التجارية يُسيّرها ثلاثون مجدافاً، ومنها ما كان له خمسون. وأنزل أهل كورنثا في البحر منذ عام 700 قبل الميلاد أولى السفن ذات الثلاثة الصفوف من المجاديف يعمل بها مائتان من الرجال. وقبل أن يستهل القرن الخامس كانت هذهِ السفن بمقدمها الطويل السامق قد بلغ وزنها 256 طناً، وبلغت حمولتها سبعة آلاف بشل من الحبوب، وأصبحت حديث جميع القاطنين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط لأن سرعتها بلغت ثمانية أميال في الساعة [4].

وتقوم الثروة الغذائية على الكروم ولأشجار المثمرة وخاصة التين واللوز والغار وشجر الزيتون[5] فدُرِّجت جوانب التلال وأجريت لها المياه ، وكانت الحُمُر تشجع على قرض أغصان الكروم بأنيابها لتزيد بذلك ثمارها. وكانت أشجار الزيتون تغطي كثيراً من الأراضي في بلاد اليونان في أيام بركليز، ولكن الفضل في نقل أشجار الزيتون إلى هذه البلاد يعود إلى بيستراتوس و صولون. ذلك أن شجرة الزيتون لا تؤتي أكلها إلا بعد ستة عشر عاماً من زرعها ، ولا يكتمل نموها إلا بعد أربعين ؛ ولولا ما أمد بهِ بيسستراتوس الزراع من إعانات لما نمت تلك الشجرة في أرض أتيكا. ولقد كان إتلاف بساتين الزيتون في حرب البلوبونيز من الأسباب التي أدت إلى اضمحلال أثينا. والزيتون ذو فوائد كثيرة لليوناني، فعصرته الأولى تمده بالزيت يأكله ، والثانية تمده بالزيت يدهن بهِ، والثالثة تعطيه زيتاً يضيء بهِ بيته؛ وما بقي منه بعدئذ يُتخذ وقوداً. وكان الزيتون أثمن غلات أتيكا في عصر بركليس، وقد بلغ من عظم شأنهِ أن احتكرت الدولة تصديره، وأن ابتاعت به وبالنبيذ ما كانت تضطر إلى استيراده من الحبوب. وكانت تُحرّم تصدير التين تحريماً باتاً، لأن التين من أهم مصادر القوة والنشاط لأهل البلاد. وشجرة التين تنمو وتترعرع حتى في التربة الجدباء ، وجذورها الكثيرة الانتشار تمتص كل ما عساه أن يوجد في التربة من ماء، وأوراقها القليلة الصغيرة لا تعرضها للتبخر الكثير. وفضلاً عن هذا فإن زارع شجر التين قد تعلم من بلاد الشرق سر إنضاج ثماره بالتلقيح؛ فكان يعلق أغصان شجرة التين البرية الذكر ، بين أغصان الشجرة الأنثى المنزرعة، ويترك للحشرات نقل الطلع من الذكر إلى ثمار الأنثى فتزيد في الحجم والحلاوة. والقليل من

القمح والشعير والخضروات؛ ورغم زراعة الحبوب في بعض السهول فأنها لا تكفي حاجة الاستهلاك المحلي مما دفع اليونانيين لاستيراد الحبوب أو الى استعمار مناطق صالحة لزراعته كما أن بلاد اليونان تنقصها المياه اللازمة للزراعة كل هذا كان له الأثر الكبير في عمل كثير من المواطنين كجنود مرتزقة. وهكذا كان الغذاء الرئيسي لليونان يتألف من الخبز والنبيذ والزيت والسمك المملح البقول الجبن التين المجفف . فهي بذلك تحتل مركزاً حيوياً في القارة الأوربية وقد ساعدها على ذلك كثرة الجزر المحيطة بها والتي شكلت ما بشبه الجسور التي ربطتها بالعالم القديم آنذاك[6].

أما الأحجار والمعادن فهي تكثر في بعض الجزر والمناطق المختلفة وأهمها الذهب في تراس(وادي سترامون) والعقيق والمرمر، الحديد في لاكونيا، الفضة في الأتيك، النحاس في قبرص وأوبي (منطقة شاليس)، فقد كانت مقادير الثروة هذه قد عوضت بلاد اليونان في أكثر من صورة عن موقفها الضعيف فيما يختص بالمحصول الزراعي ،وقد شجع هذا أثينا على أن تتقدم في مجال النحت والفن المعماري والثروة المعدنية في مناجم الفضة والتي ساعدت أثينا على مواجهة التحديات الاقتصادية.[7]

أما مناخ بلاد اليونان فكان يغلب عليه مناخ البحر المتوسط الذي يتصف بصيف حار جاف وشتاء معتدل ممطر وتتعاقب عليه الفصول بانتظام مع وجود بعض الفروق بين مناخ الساحل ومناخ السهول الداخلية ومناخ الجبال. كما أن موقع شبه الجزيرة هذه (والتي يبلغ طولها حوالي 400 كم وعرضها حوالي 300 كم) في نقطة متوسطة بين أوروبا وآسيا وأفريقيا وكونها قريبة من مواقع الحضارات الشرقية جعلها عرضة للتأثر مع بقية بلدان العالم القديم مناخ حار شديد وبرد قارص في الجبال . أما السهول اليونانية فتنعدم فيها السهول الفسيحة بل أن أغلب هذه السهول المحصورة بين الجبال هي سهول ضيقة لا تكاد تكفي لقيام زراعة منتظمة وهذا ما سهل على اليونانيين من أن يصبحوا إقليميين محصورين في إقليمهم وأن لا يكونوا فلاحين على الرغم من أنهم اعتنوا اعتناء كبيراً في تنظيم البساتين وزراعة الأشجار ورعي الماشية. فالمناخ الذي يميل إلى الحرارة كان سببا في توجيه الحياة الاجتماعية إلى الأماكن المكشوفة فكان السوق هو المكان الذي اتخذوه لاجتماعاتهم السياسية وكان المسرح هو المكان الذي خلدوا فيه تراثهم الأدبي وكانت الألعاب الرياضية والأولمبية تمارس في أماكن مفتوحة [8]

لننظر إلى خريطة للعالم القديم ونطّلع فيها على جيران بلاد اليونان القديمة، ونعني ببلاد اليونان أو هيلاس جميع البلاد التي كان يسكنها في الزمن القديم شعوب تتكلم اللغة اليونانية.

ولنبدأ بالنظر إلى الأصقاع التي دخل منها إلى تلك البلاد كثير من الغزاة – فوق تلال إبيروس وعلى طول وديانها. وما من شك في أن أسلاف اليونان قد أقاموا في تلك الأماكن، لأنهم أنشأوا في ددونا مزاراً لزيوس إله السماء المرعد. ولقد ظل اليونانيون حتى القرن الخامس يتلقون الوحي في هذا المكان ويقرأون ما تريده الآلهة في غليان المراجل أو حفيف أوراق البلوط المقدسة. ويخترق نهر أكرون الجزء الجنوبي من إبيروس وسط أخاديد بلغت من الظلمة والعمق درجة جعلت شعراء اليونان يصفونها بأنها مدخل الجحيم أو أنها هي الجحيم نفسها. وكان معظم أهل إبيروس في أيام هوميروس يتكلمون اللغة اليونانية ويتبعون الأساليب اليونانية، ثم طغت عليهم موجات جديدة من المجموعات الرعوية من أهل الشمال وحالت بينهم وبين المدينة. وإلى شمال إبيروس على ساحل البحر الأدرياوي تقع إليريا، وكانت في الوقت الذي نتحدث عنه بلاداً قليلة السكان أهلها من الرعاة يبيعون الماشية والعبيد بملح الطعام[9].. وعلى الجانب الآخر من البحر الأدرياوي استولى اليونان على السواحل الجنوبية التي كانت تحت سيطرةالقبائل البربرية وأدخلوا الحضارة في إيطاليا، (وقد عادت تلك القبائل في آخر الأمر فاكتسحتهم، وابتلعت معهم بلادهم الأصلية وضمت بلادهم إلى امبراطورية لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم). وكان من وراء جبال الألب الغاليون، الذي أخلصوا الود فيما بعد لمساليا (مرسيليا)؛ وفي الطرف الغربي من البحر الأبيض تقع إسبانيا، وكانت قد تمدنت إلى حد ما على يد الفينيقيين والقرطاجيين حين أنشأ اليونان في عام 550 ق.م مستعمرتهم التجارية في إمبريوم (أمبورياس). وكانت امبراطورية قرطاجة التي تقع على ساحل إفريقية أمام صقلية تتسلط عليها وتهددها، وقد اختط هذه المدينة ديدو والفينيقيون، وتقول الرواية أن ذلك كان في عام 813 ق.م ولم تكن وقت إنشائها قرية صغيرة بل كانت مدينة عامرة يبلغ سكانها 700,000 نسمة، تحتكر تجارة البحر وتمتلك الكثيرمن المناجم الغنية، ولديهاالكثير من المستعمرات في صقلية، وسردينية، وإسبانيا ويورد أحد المؤرخين الكلاسيكيين رقماً مبالغاً فيه حول عدد المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون على هذه السواحل وأن عددها وصل إلى (300) مدينة، ودخلوا في صراع أيضا مع القبائل الايتالية الذين حاولوا منع الفينيقين من التجارة مع صقلية وشواطئ إيطالية الجنوبية. وقد قدر لهذه الحاضرة ذات الثروة الطائلة أن تقود الكفاح ضد اليونان من ناحية الغرب، كما قدر لبلاد الفرس أن تقوده من ناحية الشرق. [10]

وإلى شرق هذه المدينة على ساحل إفريقية كانت تقع مدينة قورينة اليونانية، وفي جنوبها بلاد اللوبيين المجهولة، وإلى شرقها مصر. وكان معظم اليونان يعتقدون أن عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر. وكان معظم اليونان يعتقدون أن عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر فقد أفاد اليونانيون من الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) في ميادين